نجيب محفوظ

رائد الرواية العربية

نجيب محفوظ رائد الرواية العربية الحديثة، من مواليد حي الجمَّالية بالقاهرة عام ١٩١١، عاش في أحيائها و عبَّر عن هموم الناس باعتبار أنَّ الأدب لصيق بالواقع. نشر أولى رواياته «عبث الأقدار» عام ١٩٣٩ ثم «كفاح طيبة» و «رادوبيس» و تُعتبَر هذه الروايات الثلاثة ثلاثية تاريخية في مصر الفرعونية لإبراز أمجادها القديمة و توصيل تلك الفكرة للمستعمر.

و اتجه بعد ذلك إلى كتابة أشهر ثلاثية في الأدب العربي و حملت كل واحدة منها اسم حارة مصرية: «بين القصرين» و «قصر الشوق» و «السُكّريَّة» و اتّسَمَتْ هذه الروايات بالأحوال الاجتماعية بما تحمله

في طيَّاتها من التعبير عن أحوال الشعب، و هي روايات واقعية اجتماعية، و هي من سمات الكاتب التي لازمته طوال مشواره الأدبي، ثم تلتها روايات «القاهرة الجديدة» و «خان الخليلي» و «زقاق المدق».

ثم اتجه بعد ذلك إلى مرحلة الواقعية النفسية في رواية «السراب» و ما لبث أن عاد إلى التعبير عن أحوال الشعب في رواية «بداية و نهاية».

و بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ سكت نجيب محفوظ و دخل في حالة صمت و ما لبث أن غيَّرَ مجرى كتاباته، فأصبحتْ الحقبة الناصرية هي المُلهِم الوحيد له، و كتب أشهر رواياته فيها، و عبَّر عن مواقفه من الثورة و قضائها على أحلامه و أحلام الطبقة المتوسطة التي ينتمي اليها. فاتجه الى الرواية الرمزية بعد ذلك، أي الواقعية الرمزية، فكتب رواية «أولاد حارتنا» عام ١٩٥٩ التي تختلف عمَّا سبقها من كتاباته لأنَّها لا تُعبِّر عن مشكلة ذات صلة بالمجتمع فقط بل هي كما قال الكاتب: «أقرب إلى النظرة الكونية الإنسانية العامة». الكاتب لم ينغمس في السياسة وإنَّما في انحراف الثورة عن مسارها و فشلها في تحقيق العدالة الاجتماعية مَمَّا جعله يبدع عالمًا بديلا لواقع مُتسلط.

و قد تُوِّج بجائزة نوبل للأدب عام ١٩٨٨ عن مُجمَل أعماله التي تتميَّز بأسلوب بسيط يُعبِّر فيه عن هموم الناس.

وروايــة «أولاد حارتنا» صادرة عن دار الأدب في بيروت عام ١٩٦٢ من أهم ما كتب نجيب محفوظ، و التي نوَّهَت بها لجنة نوبل وقد أثارت جدلا كبيرًا و مُنِعَتْ في مصر، و قد وجَّهَتْ بعض التيارات السلفية للكاتب بسببها اتهامات وصلت إلى درجة التكفير و محاولة اغتياله أمام منزله بحي العجوزة.

تدور أحداث الرواية في أحد أحياء القاهرة في بيت كبير يعيش فيه الجبلاوي و أبناؤه و كان الأب يميل إلى أحد أبنائه و هو أدهم من زوجته السمراء مِمَّا أغضب ابنه إدريس الذي يثور و يتمرَّد على الأب الذي يقوم بطرده و زوجته من البيت فيشتغل خارج أسوار البيت تحت إدارة أخيه أدهم الذي أقنعه بضرورة الوصول إلى كتاب الميراث عن طريق فتح الخزنة. ضبط الجبلاوي أبناءه و هم يفتحون الخزنة فقام على الفور بطرد أدهم، و خلف أدهم ولدان هما همام و قدري واحد منهم يقتل الآخر و ما تبقى منهم ينجب ثلاث عائلات يخرج منهم أربعة أبطال.

من خلال هذه الرواية يشير الكاتب إلى الرمزية وهي فهم الديانات الثلاثة و انتصار العلم، و لا بُدَّ أن يكون هناك توازن بين العلم و الأديان، عكس اعتقاد البعض أنَّ رواية «أولاد حارتنا» هي خروج من الكاتب عن المِلّة. لأنَّ شخصية الجبلاوي كانت في تأويلهم ترمز إلى الله و البيت الكبير يرمز للعرش و الحارة للكون بينما فسَّرُوا أدهم و زوجته على أنَّهما آدم و حواء وإدريس يرمز لإبليس، و جبل يرمز للنبي موسى، و رفاعي يرمز للنبي عيسى، و قاسم يرمز للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، و صادق يرمز لأبي بكر الصديق، و عرفة رمز للعلم و ترتّب عن ذلك أن تعرض لمحاولة اغتيال من الجماعات السلفية المُتطرِّفة عام ١٩٩٥.

لكن كل تلك التفسيرات سطحية لأنَّ رواية أولاد حارتنا و إن كانت تحتوي على خلفية اجتماعية مُستوحاة من قصص الأنبياء إنَّما الكاتب أراد أن يُبيِّن أن نسير على نهجهم و هي رواية فيها نقد للثورة فيها توجُّه فلسفي صوفي و بحث في أعماق الناس عن الذات الإلهيَّة. ومن نفس المنهل وُلِدَتْ لديه الروايات الفلسفية: «اللص والكلاب»، «الطريق»،

«السِـمَّان و الخريـف» و «الحرافيـش»، وهـذا كلـه نقـد لاذغ لدرجـة السـخرية لتجـاوزات النظـام.

تُـوفي نجيـب محفـوظ في التاسـع و العشريـن مـن أغسـطس ٢٠٠٦ عـن عمـر ناهـز ٩٥ عامـا إثـر قرحـة نازفـة بعـد عشريـن يومـاً مـن دخولـه لمستشـفى الشرطـة في محافظـة الجيـزة لإصابتـه بمشـكلات صحيـة في الرئـة والكليتـين.

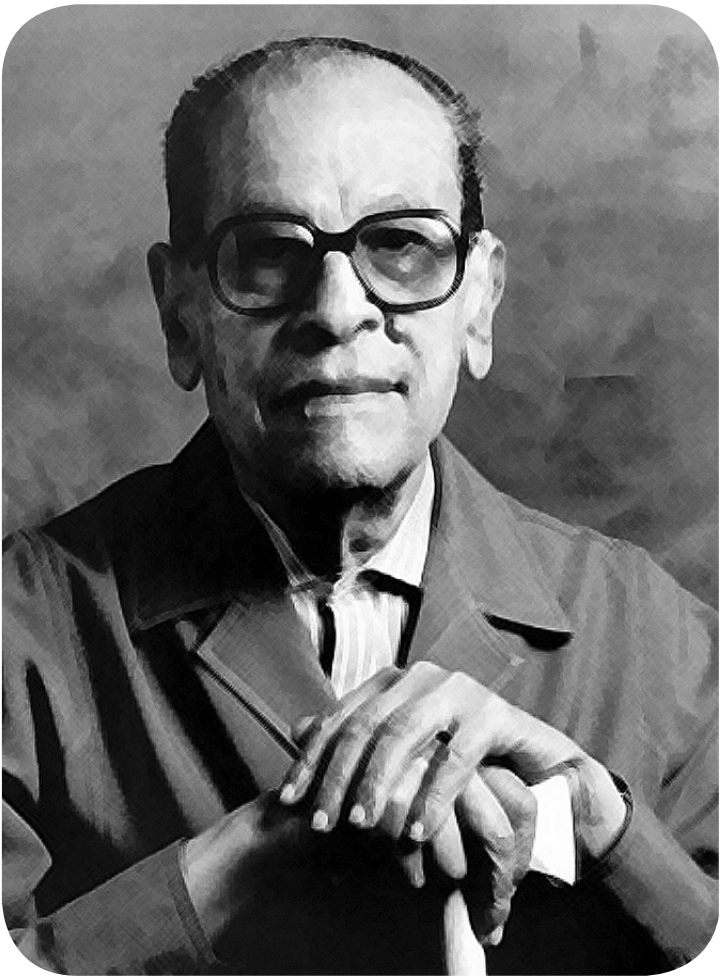

نجيب محفوظ